فاطمة عليها السلام
سر الوجود

تأليف
محمّد مهدي المؤمن

دولـــــة الكـــويت
الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دولـــــة الكـــــويت
الطبعـــة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمة سرّ الوجود

الحمد للّه على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعمٍ ابتداها، وسُبُوغ آلاءٍ أسراها، وتمام متنٍ والاها، جمٍّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمّن القلوب موصولها، وأنار في الفكر معقولها، الممتنع من الأبحار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيّته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثه.

اللّهمّ صلِّ وسلِّم وزد وبارك على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها كأفضل ما صلّيت وسلَّمت وباركت وتحنَّنت على أحد من أنبيائك ورسلك وخاصة عبادك من خلقك.

اللّهُمَّ وصلِّ على وليِّ أمرك القائم المؤمَّل، والعدل

المنتظر، وحُفَّه بملائكتك المقرّبين، وأيّده بروح القدس يا ربّ العالمين.

قالوا: إن لمولاتنا الصدّيقة الطاهرة صلوات الله عليها عوالم ثلاثة[١]:

فهي نور مجرد بتمام النورانية والتجرّد في عالم العقول الجبروتية، ودونه حوراء ملكوتية روحانية، في عالم الملكوت، وأخيراً فهي الإنسان الكامل، لأنها إنسية كاملة الإنسانية، في عالم الملك المقيّد بأنواع القيود، وإنّ لها في كلّ واحد من تلك العوالم مقاماتٍ ومنازل، ومقاماتها في كلّ عالم بمثابة أرباب الأنواع، هي أرفعها وأعلاها على الإطلاق، ونحن قاصرون عن الإحاطة التامة بكل مرتبة كلية أو جزئية من مراتبها ومقاماتها في كل منزلة من منازلها، في كل عالم من عوالمها الثلاثة، بل قاصرون عن إدراكها فضلاً عن

(١) ولعلّها في الحقيقة أربعة عوالم: نور في عالم الأنوار بتمام الحقيقة النورانية، وعقل مجرّد بتمام التجرّد في عالم العقول الجبروتيّة، وحوراء ملكوتيّة في عالم الملكوت والمثال البرزخي، وإنسيّة كاملة الإنسيّة والإنسانية في عالم الملك والناسوت.

الإحاطة بها، بل قاصرون عن توصيفها، بل قاصرون عن إدراك بعضها، أو شيء يسير منها.

فمن المؤمنين من عرفها بمعرفة شيء من مقاماتها ومراتبها وفضائلها ومناقبها الدنيوية، وخصائصها الإنسية، ومنهم من تعدّى هذه الحدود، ليتجاوز فيسبر أغوار بحر معرفتها المتلاطم العميق، بلحاظ مقاماتها ومنازلها في عالم الأرواح الملكوتية، ومنهم من جازف حين لم يقنعه ما مضى، ولم يروِ غليله، إلى اقتحام مراتب أعلى، بحثاً عن درر الأسرار الجبروتية، ولئالئ قيعان البحار، فغاص بحار عالم الأنوار، وخاض لججها ليلَ نهار، لهفاً وشوقاً إلى المعرفة الخاصّة بمقدار وسعه وطاقته.

وبينما اقتصرت إشارات الكتاب العزيز ولطائفه ونعته على جوانبها العلويّة في المقامين الأعلين، مقاماتها الجبروتية والملكوتية، فإنّ السنة الشريفة والعترة الهادية، تناولت مقاماتها في العوالم الثلاثة[1]،

(١) أو الأربعة بناءً على ما هو التحقيق الحقيق.

بالإفصاح والتلويح، والكناية والتصريح، لينال منها كل مؤمن قسطاً من المعرفة حَسْبَ وعائه سعةً وضيقاً، فمنهم من عرفها أمّاً مثالية، وابنةً مثالية، وزوجة مثالية، وامرأة مثالية، أسوة للنساء، فهي عندهم سيدة نساء العالمين فضلاً وجلالاً، في دارها، وفي تربية أولادها، وفي عبادتها، وفي جهادها، وفي كافة شئون حياتها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، من جميع جهاتها، ومنهم من تأمّل الآيات والأخبار، بدقيق النظر والإبصار، مطلقاً عنان البحث والتحقيق، مستعيناً بخالق الأسرار، مستلهماً نور الهداية إلى علم دراية تلك الآيات والأخبار، وسائل الفيض، وينابيع الحكمة، شائقاً إلى مزيد العرفان، طامحاً إلى فكّ الغموض عن تلك الرموز، وإزاحة الحجب والستائر عن شيء من ساحة قدسها.

ومن هؤلاء الهائمين في بحر عشق الله الأبدي، والغارقين في مودّة أوليائه، فئة حسبها من المعرفة قطر الندى، ومنهم من أغترف غرفة بيده، ومنهم من شرب كأساً دهاقاً، ومنهم من نال في المعرفة الكأس الأوفى، فروى غليله منها، فكل قد استوفى حقه على

قدر طاقته: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(١)، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٢)، ونحن على شريعة هذا الفرات، فلننظر كيف نصنع بعذب هذا الماء: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾(٣)، «**وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح**»(٤)، فهل لنا من مزيد؟

وتأتي أهمية ذلك في زمن طغت فيه النظرة المادية على حياة الشعوب من مشرقها إلى مغربها، على جميع المستويات والأصعدة، وفي كافة الحقول والمرافق، حتى الدينية منها، وفي زمن استفحل فيه داء المادية مسخّراً عقول أبنائه، ليجري منهم مجرى الدم في العروق، واستشرى ليغزو عصب الحياة، ويهدّد كياننا الاجتماعي والمعنوي، حيث غدى الواحد منّا يفتّش في كلّ ظاهرة من الظواهر الغيبية، ويبحث في كلّ حقيقةٍ من الحقائق الماورائية، عن تفسير مادي يوافق عناصر

(١) سورة البقرة/ ٢٨٦، ونظائرها في المعنى، البقرة: ٢٣٣، الأنعام: ١٥٢، والأعراف: ١٤٢ .
(٢) سورة القمر: ٤٩ .
(٣) سورة الإنسان: ٢١ .
(٤) مَثَلٌ يُضرَب.

الطبيعة الجامدة، ويتفق مع القوانين الكونية المحدودة، ويقيس صحة الأمور الغيبية وسقمها بمعاييره العقلية الضيّقة، فيردّ على الله تعالى ورسوله وأوليائه ما عجز عن إدراكه لضيق أُفقه، وقصور عقله، وكأنّ دين الله عزّ وجلّ يقاس بهذه العقول، وليس خلف هذا البرزخ وجود، ولا بعد هذا الجدار حياة، فليس عندهم وراء عبادان قرية.

ذلك أن النظرة المادية إلى الحياة، وإلى عالم الوجود بأسره قضت على روح التعبد والتسليم بعالم الغيب الذي يفوق عالم الشهود، وليس بينهما قياس لأنه قياسٌ مع الفارق.

في مثل هذا الزمن، وتحت وطأة هذا الطغيان والجموح، وفي ظلّ هذه الظروف تطلّ علينا أيّام اللّه الخالدة، متجسّدة في أوعية زمانية لنزول الرحمة الإلهيّة، والفيوضات الربانية، كي تعطّرنا بأمازيج الزهور وعطر المعرفة، تحت وابل من غيث البركة، ومطر الرحمة: ﴿**وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ**﴾[1]، ذلك أنّ الذكرى

---

(١) سورة إبراهيم: ٥ .

تنفع المؤمنين، فالتذكير بأيّام اللّه تعالى وآياته تذكير باللّه عزّ وجلّ: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1]، وتعود إلى رشدها، سالكة سبيل العروج إلى بارئها، لتشقّ طريقها نحو الكمال، فتطابق فطرة اللّه التي فطر الناس عليها، والقلوب أوعية خيرها أوعاها.

وقد دعينا إلى إحياء هذه القلوب في أيّام اللّه المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2]، بنفض غبار الأوهام المادية عن ساحة العقول، وإزالة صدأ الشهوات الحيوانية عن النفوس، وتطهير القلوب التي هي عرش الرحمن من دنس الآراء الباطلة الميتة والأهواء الآسرة المقيتة، لتنطلق النفوس من قفص الجهالة إلى حيث أسمى غايات الكمال، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[3] أي ليعرفون، والمعرفة أُسّ العبادة ورأسها وعمقها:

(١) سورة الرعد: ٢٨ .
(٢) سورة الأنفال: ٢٤ .
(٣) سورة الذاريات: ٥٦ .

«**ليستنقذ عباده من الجهالة، وحيرة الضلالة**»[١]، إلى حيث الرحاب المعنوي، والفضاء الروحاني، ﴿**وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾[٢].

قال رسول الله ﷺ: «**أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة**»[٣]، وقال إمام العارفين صلوات الله عليه: «**يا كميل، ما من حركة إلاّ وأنت محتاج فيها إلى المعرفة**»[٤].

وقال صادق آل محمد عليه السلام: «**لا يقبل اللّه عملاً إلاّ بمعرفة ولا معرفة إلاّ بعمل فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا إن الإيمان بعضه من بعض**»[٥]، والمعرفة هي الإدراك الصحيح، والفهم العميق، والدراية التامة، فقيمة كل امرىء بقدر

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣١/٩٨، زيارة الأربعين عن التهذيب ومصباح الزائر ومزار الشهيد والإقبال، مصباح المتهجد: ٧٨٨ .
(٢) سورة آل عمران: ٢٨ .
(٣) بحار الأنوار: ١٤/٣ عن جامع الأخبار.
(٤) بحار الأنوار: ٢٦٧/٧٤ و٤١٢، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: ١٧١ .
(٥) الكافي الشريف: ٤٤/١ .

معرفته بالله عزّ وجلّ، الجمالية، ثم الجلالية، ثم الكمالية، ثم بمعرفة آياته البينات وكلماته التامات وحججه البالغات، ونعمه السابغات.

وما معرفة آيات الله تعالى، وكلماته وحججه ونعمهِ إلاّ رشحة من رشحات معرفته: «**إعرف الحق تعرف أهله**»[1]، وما معرفتها إلاّ مقدمة لمعرفته عزّ وجلّ: «**من أراد الله بدأ بكم، ومن وحّده قبل عنكم، ومن قصده توجّه بكم**»[2]، وهكذا قال: «**من عرفكم فقد عرف الله**»[3].

من هنا فإن معرفة الصّدّيقة الطاهرة كريمة النبيّ المختار وزوج الوصي الكرار وأمّ الأئمة الأطهار رشحة من رشحات المعرفة الربوبية، وهي الطريق الأقصر، والسبيل الأقوم، والمسلك الأتم إلى المعرفة الصمدانية

(١) مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة): ٢٩١/٢، بحار الأنوار- ج٤٠- ص١٢٦ .
(٢) زيارة الجامعة الكبيرة/ مفاتيح الجنان، من لا يحضره الفقيه - ج٢ / ص٦١٥ .
(٣) المصدر السابق.

الحقة، فمن عرفها حق معرفتها فقد عرف الحق جلّ جلاله حق معرفته، وهو غاية الغايات والكمال المطلق الذي لا يعلوه كمال، لأنها مرآة صفات الجلال: «**إنّ الله يرضى لرضى فاطمة**»[1]، وهي مرآة صفات الجلالة: «**ويغضب لغضبها ويرضى لرضاها**»[2]، ولذلك عجز الخلق عن معرفتها: «**سميت فاطمة، لأن الخلق فُطموا عن معرفتها**»[3]، فما عرفها سوى أبيها وبعلها وبنيها، «**يا علي ما عرف الله إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلا اللّه وأنت، وما عرفك إلاّ الله وأنا**»[4] والصّدّيقة فاطمة قلب الرسول، وروحه التي بين جنبيه، قد شق نورها من نور محمد وعلي صلَّى الله عليهما وآلهما،

(١) عوالم العلوم: ١١٦، مستدرك سفينة البحار - ج٤ / ص١٤٧ .
(٢) عوالم العلوم: ١١٦، مستدرك سفينة البحار - ج٤ / ص١٤٧ .
(٣) البحار: ٤٣/٦٥ عن تفسير فرات الكوفي، روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾، الليلة فاطمة والقدر الله فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سميّت فاطمة لأن الخلق فُطموا عن معرفتها.
(٤) مدينة المعاجز: ج٢ / ص٤٣٩، المختصر: ص٧٨، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ج٥ / ص٤٩٢ .

فما عرفها إلاّ الله الذي خلقها: «**يا ممتحنة امتحنكِ الله الذي خلقكِ**»(١) في عالم العقول الجبروتية، والأنوار العرشية الملكوتية في قوس النزول، «**قبل أن يخلقكِ**»(٢) في عالم النفوس الأرضية، في قوس الصعود، «**فوجدك لما امتحنكِ صابرة**»(٣) في العالم المحاط بأنواع المنغِّصات والممزوج بأصناف البليات.

فما عرفها سوى الحق جلّ وعلا ثم أبوها وبعلها حيث اشتق نوره من نورهما، فكانت الكونَ الجامعَ، بين حقيقة النبوة المتجلية في النور المحمدي، وحقيقة الولاية المتجسّدة في النور العلوي، حيث عرج به في السماوات العلى فكان قاب قوسين أو أدنى يرافقه بعلها الذي ما فارقه في مقام من مقاماته ولا في منزلة من منازله، إذ كلَّمَهُ ربّه جلّ وعلا بصوت بعلها وهو بالملأ الأعلى عند سدرة المنتهى حيث تناول فاكهة

(١) زيارة الصديقة الكبرى يوم الأحد: مفاتيح الجنان، مصباح المتهجد: ص٧١١ .
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

وجودها من شجرة طوبى في جنة المأوى، وهي فاكهة معرفتها، وبذرة نطفتها، حين كان قاب قوسين أو أدنى، دنواً واقتراباً معنوياً روحانياً نورانياً من العلي الأعلى، والله نور السماوات والأرض، بعدما قضى أربعين يوماً من المجاهدة والاعتكاف، وهو يومئذ نبي خاتم وسيّد الأنبياء والمرسلين.

هكذا استودع اللّه جلّ وعلا رسوله المصطفى ﷺ سره الأعظم، ووديعته الكبرى، فهي من ودائع النبوة، وهكذا حمّله أمانته التي تجلّت في نور الحقيقة الفاطمية، فاختاره واصطفاه، ليكون موضعاً مكيناً وخزانةَ غيبٍ ومكنون أسرار في جوفه وباطن وجوده الأقدس من عالم الشهود المطلق إلى عالم الغيب المطلق، ومن العوالم العليا إلى عالم الدنيا، محفوفة بالملائكة المقربين، محاطة بكوكبة من الحور العين اللواتي خلقن من فيض أشعّة جمالها المحمدي، لأنها حوراء الحقيقة في عالم الملكوت، إنسية الوجود في عالم الملك والناسوت، حاملة معها أنواراً ساطعة ونجوماً لامعة هم مصابيح الدجى وأعلام الهدى،

والعروة الوثقى والحجج على أهل الدنيا والآخرة والأولى الذي قال عنهم في جامعته الجامعة للحقائق والأسرار والكبيرة دون كبر العظيم المتعال «**خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين**»[1] فكانوا للخلق سفن النجاة ولوجودهم سرّ النّواة ولبقائهم عين الحياة، ومحسنها السر المكنون المستودع فيها، الشاهد على ظلامتها، والناطق بحقها المغصوب، وضلعها المهشّم المكسور، وعقيلة بني هاشم وأمّ كلثوم، لا سيّما مهديّها «**ومنّا مهديٌّ هذه الأمة**»[2] الهادي لشيعتها والمنقذ لمحبيها، المنتقم الثائر والطالب بدمها ودم أبنائها الهداة «**أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكربلا**»[3]، تنير بهم ظلمة سماء الدنيا والليل البهيم: «**ما إن تمسّكتم بهما لن**

---

(١) زيارة الجامعة الكبيرة: مفاتيح الجنان، من لا يحضره الفقيه: ج٢ / ص٦١٣، تهذيب الأحكام: ج/٦ ص٩٨ .

(٢) كفاية الأثر ص٢١، وشرح الأخبار: ج٣، ص٥١٦، شرح الأخبار: ج٢ / ص٥١٠، بحار الأنوار: ج٣٦ / ص٢٨٩، الأنوار البهية: ص٣٤٣، كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج١ / ص١٥٣ .

(٣) دعاء الندبة: مفاتيح الجنان، إقبال الأعمال: ج١ / ص٥٠٩ .

تضلوا بعدي أبداً»[1]، وهم «**سفن النجاة من ركبها نجى، ومن تخلف عنها غرق وهوى»**[2].

فإذا كنّا عن إدراك حقيقة ليلة القدر -أعني الصّدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء الزاهرة- عاجزين، وعن معرفة كنه حقيقتها مفطومين، وعن ارتقاء سُلّم حق المعرفة بجلال قدرها وعظم شأنها ممنوعين، وكانت أبصار قلوبنا عن رؤية تشعشع أنوارها الملكوتية والجبروتية القدسية محجوبة، وضربت بيننا وبين بلوغ قلل المعرفة بمقاماتها الغيبية حجب الأستار، لا لقصور من جهة فاعليتها الذاتية التبعية المطلقة، لأنها نور الأنوار الزاهرة ومعدن الحقائق الباهرة، وسعت بفيضها كلّ شيء مخلوق بلا حدود، بل لنقص في قابليتنا المحدودة، وقصور في وجوداتنا المقيدة

(١) الكافي، ج٢، ص٤١٥، مشكاة الأنوار: ص١١، قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم له لن تضلوا: كتاب الله عز وجل حبل ممدود، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

(٢) المستدرك ج٣، ص١٥١ تاريخ الخطيب البغدادي، ج١٢، ص٩١، وهو قوله ﷺ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى».

بالحجب الظلمانية المادية في عالم الكثرات، أقول: إذا كنا قاصرين بالذات، محجوبين بظُلَم الأوهام والأهواء، ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾[1] ظلمات العقول وظلمات النفوس وظلمات الدنيا، ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[2] لشدة الحجب وكثرتها، فضلاً عن رؤية ما هو بعيد المنال، إذا كنا كذلك فلنمدّ أيدينا إلى الحبل المتين، نستعين بالثقلين ونستنطقهما لنيل المطلوب وبلوغ المنى المرغوب.

وإذا كنا عاجزين غاية العجز عن الاقتراب من شجرة معرفتها من غير دليل يدلّنا، ولا حكيم يرشدنا: «**هلك من ليس له حكيم يرشده**»[3]، وكنا منهيين عن الاقتراب من غير وسائط الفيض، وهم أبوها وبعلها وبنوها، كما نهي أبوانا من قبل: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ

(١) سورة الزمر: ٦ .
(٢) سورة النور: ٤٠ .
(٣) بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٥٩ - كشف الغمة: ج٢، ص٣٢٥، عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قال: «هلك من ليس له حكيم يرشده وذل من ليس له سفيه يعضده».

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(١)، إذ لا كفو لها على الإطلاق، لأنها ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾(٢) راسخ في أعماق الدهر والتاريخ وسابق لهما في الوجود، لأنهما فوق حدود الزمان والمكان، وبفرعها شقّتْ عَنان السّماء: ﴿وَفَرْعُهَا﴾ الذي تشع ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ وهي مرج بحري النبوة والإمامة التي يلتقيان عندها، ومن فيض وجودها البرزخي بينهما كي لا يبغيان على الحكمة الربانية من الوجود بانقطاع تيار الهداية وانطفاء نور الولاية عن الخلق حيث أنها ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ في توالي الإمام بعد الإمام ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾(٣)، وهي الشجرة المباركة الزيتونة التي يكاد زيتها يضيء، بنور النبوة المحمدية والولاية العلوية الزاهرة بنور الحقيقة الجامعة الفاطمية ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ فهي ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾(٤) لأنها تحمل أنواراً، يحملها نور، من حولها أنوار، فإذا كنا منهيين عن الاقتراب منها منفردين،

---

(١) سورة البقرة: ٣٥، سورة الأعراف: ١٩ .

(٢) سورة إبراهيم: ٢٤ .

(٣) نفس المصدر.

(٤) سورة النور: ٣٥ .

نهياً تكوينياً من جهة عجزنا الذاتي، رغم حاجتنا الفطرية الماسّة إلى معرفتها، فنحن بالنهي والعجز عن تناول فاكهة معرفتها، للإحاطة بطود عظمتها، من دون الاستعانة والاستنجاد والاستغاثة والتوسل بوسائط الفيض، أعجز، وإلى هذه الأسباب والوسائط﴿**يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ**﴾(١)، ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي**﴾(٢)، كما أنه تعالى: ﴿**وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**﴾(٣).

فلنأتِ البيوت من أبوابها، إذ ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا**﴾(٤)، وأبواب بيوت الأسرار الإلهية، والعلوم الربانية، والمعارف الصمدانية، هم أبواب مدينة علم الله وحكمته جلّت عظمته: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»(٥) و«**أنا مدينة الحكمة وعلي بابها**»(٦) فمن أراد

---

(١) سورة النور: ٣٥ .
(٢) سورة الأعراف: ١٧٨ .
(٣) سورة الكهف: ١٧ .
(٤) سورة البقرة: ١٨٩ .
(٥) التوحيد: ص٣٠٧، الخصال: ص٥٧٤، عيون أخبار الرضا: ج١، ص٧٢ .
(٦) الأمالي للصدوق: ص٦١٩، شرح الأخبار: ج١، ص٨٩ .

المدينة والعلم والحكمة فليأتها من بابها، وبالآداب تكتسب المكارم والفضائل والحكمة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾(١) وفسر الذين لا يعقلون بقوله عزّ وجلّ ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ**﴾(٢)، وحاشا لهذا الشرف العظيم أن يكون شريعة سهلة الورود لكل دابة شرور فضلاً عن شرّ الدّواب.

فبيوت أسرار الله جلّ وعلا التي قال عنها: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ**﴾ شأناً وعظمة وإجلالاً وإكراماً ﴿**وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾ عزّ وجلّ بالتعظيم والتهليل والتكبير والتسبيح والتجليل والتقديس، إن هذه البيوت لها أصحاب ولها أبواب، وقد دامت البابية هذه في أبناء علي أمير المؤمنين والصّدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء، فهم أبواب مدينة علم الرسول ﷺ، وهم أهل بيته: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾(٣)،

(١) سورة الحجرات: ٤ .
(٢) سورة الأنفال: ٢٢ .
(٣) سورة النور: ٣٦ .

فلنأت المدينة والبيوت من أبوابها، بقلوب صادقة طوت منازل ثلاث: مرحلة التخلية، ثم التحلية، ثم التجلية تصديقاً لقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾، فإنّ هذه مواضع رحمة الله ومعادن حكمته وخزائن أسراره، لا يجوز تدنيسها واقتحامها إلاّ بقلوب عرشية: «**قلب المؤمن عرش الله**»[1] لتكون فرشاً يفترش عليهما حكمته التي هي ضالة المؤمن، و«**القلوب أوعية خيرها أوعاها**»[2]، ولذلك فإنه ﴿**لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾[3].

وكيف كان، فإنّ مولدها في أحضان البيت النبوي، بين منزل الوحي، ومصعد الكلمة الطيبة التي هي أصلها: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ ومنبع العمل الصالح ﴿**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[4]، محفوفة بأنوار ملائكة

---

(١) كشف الخفاء: ج٢، ص١٠٠، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ج٥ / ص٣٢٩ .
(٢) نهج البلاغة: ج٤، ص٣٥ .
(٣) سورة الواقعة: ٧٩ .
(٤) سورة فاطر: ١٠ .

القدس المقربين، لأدلّ دليل على علوّ كعبها وشرف مقامها ومنزلتها، وكفى ذلك البيت فخراً وشرفاً واعتزازاً بها، حيث كان موضع اهتمام واعتزاز العزيز الحكيم جلّت حكمته وموضع تنزيهه تعالى وتقديسه: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1] ليس فوقه تطهير كماً ولا كيفاً، لأنه مطلق التطهير والتطهير المطلق وكمال التطهير ومنتهى التطهير الذي لا يدانيه تطهير مطلقاً ولا يرقى إليه طير طهارة أبداً. وحسبها أن لم يكن لها كفو سوى أسد الله الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما، وحسبها كرامة أن كلّلها ربها بأكاليل الأنوار، مكلّلة في حياتها الطاهرة بنور المحسن قلادة على صدرها، مجلّلة بنور الحسنين أسوارين فوق معصميها، مزيّنة بنور زينب وأم كلثوم قرطين في أذنيها، مكرّمةً بتسعة أوسمة تتلألأ على جبينها المشرق، آخرها الأنور الأزهر بين الخافقين.

إنها فاطمة، وما أدراك ما فاطمة؟ إنها الكوثر الذي

(١) سورة الأحزاب: ٣٣ .

لا يحصى لها فضل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ لأنهم كلماته التامّات ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[1]، ولو كان البحر مداداً والشجر أقلاماً والجن والإنس كتّاباً، ما أحصوا فضائلها ومناقبها، وهي الكوثر بعطائها اللامحدود، وهي الكوثر بعلمها اللّدنّي، بالحضور الشهودي العيني، بحق اليقين، والكر المتصل بالمنبع الإلهي والفيض المتدفق الذي لا ينضب: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[2]، وهي الكوثر بغزير ذريتها وكثرة نسلها التي ملئت الخافقين بكمالها المنشود وعطائها اللامحدود، وهي الكوثر بأبيها، والكوثر ببعلها، والكوثر بأحد عشر نوراً من ذريتها وبنيها.

وهي كذلك فاطمة، وما أدراك ما فاطمة؟! **فداها أبوها**[3]، كلمة من لا ينطق عن الهوى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ

(١) سورة الكهف: ١٠٩ .
(٢) سورة النور: ٣٥ .
(٣) بحار الأنوار: ج٤٣ / ص٨٦، حلية الأبرار: ج١ / ص٢٠٨، الأمالي (للصدوق): ص٣٠٥ .

الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١]، كشف بها الستار عن جلالة قدرها وعظمة أمرها، لأنها اسم الله الأعظم وآيته الكبرى.

فكانت إذا قامت من محرابها أضاءت بنورها السماوات السبع، وزهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، وهي أشهر عند أهل السماوات، والملأ الأعلى، وحملة العرش، والملائكة المقربين، في عالم الشهود المطلق، والعقول المجردة بالتجرد التام، والوحدة الحقيقية، ولدى الأنفس القدسية والملكوتية، من شهرتها عند أهل الأرض، في عالم الكثرات المشوبة بأنواع الكدرات، ذلك أن عوالم العقول الجبروتية، والأنفس الملكوتية، عوالم الشهود المحض، تشاهد ما يفوق عالم الكثرات، ولا تؤمن إلاّ بالشهود والمعاينة، خلافاً للإنسان الظلوم الجهول، الذي كرّمه الله على ملائكته لإيمانه بالغيب: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[٢]، فمعرفة الملائكة معرفة شهودية،

(١) سورة النجم: ٣-٤ .

(٢) سورة الإسراء: ٧٠ .

ومعرفتنا معرفة غيبية، لهذا مدحنا في كتابه العزيز: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[1].

فكانت المعرفة بمقاماتها الغيبية، وكان الإيمان بمنازلها العرشية إيماناً بليلة القدر، وإدراكاً لحقيقتها، ومن عرفها حق المعرفة فقد أدرك ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر من المجاهدة والسلوك وطي الطريق، من أجل معرفة الله جلّ وعلا، لأن معرفتها كمال طريق إلى معرفة الله، فمن عرفها حق معرفتها فقد عرف الله، ومن جهلها فقد جهل الله تبارك وتعالى، ومن طلب الحق عزّ وجلّ سلك سبيل معرفتها، وسوى ذلك لهث وسعيٌ خلف السراب.

وهي ليلة القدر، وما أدراك ما فاطمة؟!، وما أدراك ما ليلة القدر؟!، وحسبها أنها ليلة القدر التي تنزل الروح والملائكة في وعائها المعنوي، عبر حقيقتها النورانية، فوق وعاء الزمان، على أبيها وبعلها وبنيها، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[2]، فهي وعاء الفيض الإلهي،

(١) سورة البقرة:٣ .
(٢) سورة القدر: ٤ .

ومنبع الفيوضات الربانية، واسطة الفيض على وسائط الفيض، بل هي الفيض بعينه، لأنها حجة الله البالغة على حججه الطاهرين: «**نحن حجج الله، وأُمّنا فاطمة حجة علينا**»[1].

فهي الإنسان الكامل، والقرآن الناطق، وهي الكوثر الكثير والبحر الغزير، إذ نزل فيها أحد عشر قرآناً ناطقاً، لأنها الليل المقدّر الذي جرى عليه وبه قلم التقدير في قوس النزول، ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾[2]، وهي اليوم في قوس الصعود، ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾[3] و﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أن ينالوا﴿ **مِن دِينِكُمْ**﴾[4].

وفاطمة الصديقة ليلة القدر الحامل للقرآن الصامت دفعة واحدة بجميع معارفه وحقائقه ولطائفه

(١) الإنتصار العاملي: ج٧، ص٢٣٧ (والرواية عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «نحن حجج الله عليكم وأمنا فاطمة حجة الله علينا».
(٢) سورة القدر: ١ .
(٣) سورة المائدة: ٣ .
(٤) سورة المائدة: ٣ .

ومكنوناته وأســراره وتجليــاته، والنازلة به على قلب أبيها صلوات الله عليه واله، فهي القلب الجامع الذي يتجلى فيه الغيب اللامع، وهي درّة التوحيد الفريدة في حقيقة الوجود، وهي حقيقة القرآن المجيد، وحقيقة النبوة والإمامة، وما يجمع بينهما من التوحيد، أعني الولاية.

وهي ليلة القدر، فمن أدركها فقد أدرك حقيقة التوحيد والنبوة والولاية والإمامة، لأنها جميعاً حقائق ليلة القدر.

فمن يقدر على حق معرفتها، والإحاطة بكينونتها، هيهات هيهات، لا يزعمها فينا إلا مبطل جاهل أو معاند معتوه، كيف وكان مقام النبوة الخاتمة ومنصب الرسالة التامة ينهض مستوياً بقامته الشريفة القدسية على قدمي النبوة الخاتمة لجمع الجوامع من عوالم الكمالات التامة المباركتين إجلالاً لقدرها ومقامها ومنزلتها الشامخة، كلما دخلت عليه، بل ينحني بثقل النبوة الخاتمة الجامعة أمام ذلك الطود الشامخ المتجلي في طهر الطاهرة المطهرة تعظيماً لشرف

مقامها ليقبّل بشفاه فم النبوة التي ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ بلسانه ﴿عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١] يدها التي باركها ربها جلّ وعلا حتى صارت كيده يبطش بها، فهي ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢] ويحتضنها ويشمّ عرف جنة المأوى من أريجها، كلّما اشتاق إلى ذلك المقام المحمود، فكانت ريحانته الأخروية من الدنيا، وكان ابناها ريحانتاه النابتتان عند سدرة المنتهى بعدها، لأنهما يزهوان بعطر أُمهما، الذي عطر الله تعالى به جنّته وعرشه وكرسيه.

أليس هذا دالاً بالدلالة الالتزامية القطعية، بالكناية التي هي أبلغ من التصريح، على أن لفاطمة الصديقة عليه أيادٍ بيضاء، وأنها الفيض الرباني، وواسطة الفيض عليه؟!

أليس قوله ﷺ: «**فاطمة أمّ أبيها**»[٣]، صريحاً في عظيم حقها عليه، وأن لها عليه مثل حق والديه، من

(١) سورة النجم: ٣ .
(٢) سورة الفتح: ١٠ .
(٣) أسد الغابة: ٧/٢٢٠، الاستيعاب: ٤/٣٨٠ .

وجوب البر بها، وعبادة النظر إليها، ولزوم الإحسان إليها، من منطلق الحديث القدسي: «**ولولا فاطمة لما خلقتكما**»(١)، فهي كالأُمّ حملت أسرار نبوته، وودائع رسالته بين العوالم العليا والعوالم السفلى، وفصله في أعوام بالفيض، لأنها الفيض وواسطة الفيض: ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ**﴾(٢) وبما أن الأمور بخواتيمها وختامه مسك فـ﴿**إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾(٣).

وهل ترك رسول الله ﷺ بعد هذا مجالاً لتخرص المتخرصين، وتشكيك المبطلين؟ وتشنيع المشّنعين لنا على ما نعتقده من مقاماتها الغيبية، ومنازلها العرشيّة؟

بأيّ كتابٍ أو بأية سُنّةٍ ترى حبّهم عاراً عليَّ وتشنعُ

ورسول الله ﷺ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾.

---

(١) مستدرك سفينة البحار: ج٨، ص٢٤٣، مجمع النورين: ١٤ .
(٢) سورة لقمان: ١٤ .
(٣) سورة لقمان: ١٤ .

ثم أليس هو القائل: «**فاطمة مهجة قلبي**»[1]، وقال ﷺ عن سورة ياسين أنها قلب القرآن؟، ففاطمة قلب القرآن الناطق، أي نفس القرآن الناطق بتمام حقيقته وكماله، وياسين قلب القرآن الصامت بتمام حقائقه وأسراره، النازل على قلب القرآن الناطق، أعني الصديقة الطاهرة، فاتّحد قلب القرآن الصامت، بقلب القرآن الناطق، لا يأتيهما الباطل من بين يديهما ولا من خلفهما، هكذا كانت واسطة الفيض على أبيها، لأنها وعاؤه في حمل الوحي بجميع أبعاده وحقائقه وأسراره.

وقال ﷺ: «**فاطمة روحي التي بين جنبي**»[2]، إذ حقيقة الإنسان وحقيقة كلّ كائن حيّ، بروحه التي بين جنبيه وبقاؤه بروحه، وتعاليه بروحه، وكماله بروحه،

(١) بحار الأنوار: ح٢٩، ص٦٤٩ ، المناقب للزمخشري: ص٢١٣، قال رسول الله ﷺ: «فاطمة مهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربي، وحبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا ومن تخلف عنهم هوى».

(٢) الروضة الندية: ج١٤، الطبعة الخيرية بمصر، الجامع الكبير: ج٣، ص١٢٧ .

وشرفه بروحه، وكافة فضائله ومنازله لا تكون إلاّ بروحه، فهي سر وجود رسول الله ﷺ، وهي علة وجوده، وهي سبب بقاءه ودوامه، وكماله، لأنها تمثل حقيقته في جانبي كماله العلمي، وكماله العملي، تحمل روح المصطفى ﷺ في جنبيه الظاهري والمعنوي، فلها كل ما لأبيها من كمال ومقام إلاّ النبوة، فهي الأحمد الثاني، لأنها روحه وحقيقته الكامنة بين جنبيه، وكذلك هي روحه التي بين جنبيه الظاهري والباطني من النبوة المطلقة والولاية العامة التكوينية والتشريعية منها مطلقاً، على كل العوالم العلوية والسفلية، فظاهره ﷺ النبوة وباطنه الولاية.

وهي المشكاة الجامع بين نور النبوة المحمدي، ونور الولاية العلوي، **﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾**[1] تزهر لسكان السماوات ولحملة العرش ومن دونهم.

فهي الكوكب الدّريّ، والمشكاة الجامعة للأنوار

(١) سورة النور: ٣٥ .

السماوية، والحقائق النورانية، إذ اجتمعت في نور وجودها نور النبوة والإمامة، لتكون وعاء أسرار النبوة والإمامة معاً، كما هي وعاء أسرار التوحيد: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[1]، إذ النور تعبير جامع لكل كمال مانع عن كل ظلمة عيب ونقص، وحقيقة النور عند أهل المعرفة الظاهر في نفسه المظهر لغيره، فهو الظاهر المظهر الذي به يختص الظهور، وبذاته وفي ذاته ولذاته الظهور، ومن كان كذلك فلا يحتاج إلى مُظهر «**سبحانك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك**»[2]، «**ألغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون مظهراً لك**»[3]، ولكن لربنا جل وعلا تجليات في خلقه لخلقه بخلقه فتجلى الرحمن جلّ وعلا في آياته وبيناته وكلماته، ولهذا مثل نوره كمشكاة النبوة فيها مصباح الإمامة الذي ضمّته وحوّلته زجاجة الولاية الفاطمية الزاهرة ﴿**الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ**﴾ الولاية

(١) سورة النور: ٣٥ .
(٢) بحار الأنوار: ج٦٤، ص١٤٢ .
(٣) شرح الأسماء الحسنى: ج١، ص٥١ .

الفاطمية ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ زاهر باهر ﴿يُوقَدُ﴾ هذا المصباح المنير ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ التوحيد ﴿مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ﴾ مائلة عن الحق ﴿وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ مائلة إلى الباطل.

فقد كان ظهوره الخاص لأنبيائه ورسله وأوليائه عبر معجزاتهم وإن كانوا هم أجلى مظاهره تبارك وتعالى لأنهم أعظم معجزاته وكلماته الدالة عليه، التي يعجز الخلائق عن الإتيان بمثلهم، ومن هنا كان ظهوره تعالى لموسى بن عمران عليه السلام في جبل فاران إذ كلمه بصوت علي أمير المؤمنين ومولى الموحدين صلوات الله وسلامه عليه وهو بعلها، وكان تجليه جلّ وعلا للجبل استجابة لطلب موسى عليه السلام ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾(١)، فكانت الصديقة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليها هي وأبوها وبعلها وبنوها مظاهر لعظمة الله تبارك وتعالى وتجليات لصفاته وكمالاته في مقام الفعل دون مقام الذات يفعلون ما

(١) سورة الأعراف: ١٤٣ .

يفعله جل وعلا بإذن الله تعالى كما كان المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام يحيي الموتى ويبرئ الأكمة والأبرص بإذن الله، «**لنا حالات مع الله تعالى**»[1] طبعاً في مقام الفعل لا الذات «**نحن هو وهو نحن**»[2] أي نفعل ما يفعل تماماً بإذنه تبارك وتعالى «**أقول للشيء كن فيكون ونقول للشيء كن فيكون**»[3]، عبادٌ مكرمون ﴿**لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[4]، ومن هذه الجهة وبهذا المعنى: «**ليس بينك وبينهم إلاّ أنهم عبادك رتقها وفتقها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك**»[5].

فهي إذن مظهر رضى الله تعالى «**يا فاطمة إن اللّه يرضى لرضاك**»[6] و«**إن الله يرضى لرضا فاطمة**»[7]،

(١) بحار الأنوار: ٢٤٣/٧٩، ح١، باب١ .
(٢) المصدر السابق.
(٣) بحار الأنوار: ج١٠٢، هامش ص١٦٤ .
(٤) سورة التحريم: ٦ .
(٥) مصباح المتهجد: ص٨٠٤ .
(٦) بحار الأنوار: ٤٩/٤٣ .
(٧) بحار الأنوار: ٩٣/٤٤ .

وهي مظهر غضب الله تعالى: «**يغضب لغضبك**»[1]، «**ويغضب لغضبها**»[2]، وبها يتجلّى رضا الله تبارك وتعالى وغضبه، «**وقد ماتت فاطمة وهي واجدة عليهما**»[3]، وهي مظهر وتجلّي علم الله تعالى وحكمته، وجوده وكرمه ورحمته ونقمته وصبره وأناته ولطفه ورأفته وقدرته وحلمه وسائر أوصاف جماله تعالى وجلاله ولهذا «**من أراد الله بدأ بكم، ومن وحدّه**» في مقام الذات والفعل «**قبل عنكم**»[4]، وهي قمّة هذه التجليات لأنهم القائلون: «**نحن حجج الله وأمنا فاطمة حجة الله علينا**»[5] فهي حجة الحجج وهي أسوة كل أسوة وقدوة من أمر الناس بل الخلائق أجمعين بالتأسي والاقتداء بهم: «**ولي في أُمّنا فاطمة أسوة حسنة**»[6]، فهي أُسوة الأسوة وقدوة القدوة بينما

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) بحار الأنوار: ٣٦٢/٢٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٥/٦ .
(٤) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٣٠٨ .
(٥) الإنتصار العاملي: ٢٣٧/٧ .
(٦) البحار ١٧٨/٥٣، الإحتجاج: ٤٦٦، عن مولانا الإمام المنتظر -عجل الله فرجه الشريف- أنه قال: «ولي أسوة بأمي فاطمة عليها السلام».

غيرها: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ الناشئة في منبت السوء والبيئة السيئة لكن ذلك لم يمنعها من الهداية الربانية الخاصة بعد عدم تخليها عن الهداية العامة وبعد إصرارها على الهداية العامة الفطرية وتمسكها بها حتى نطق بتنزيهها وتفضيلها القرآن الكريم من فوق سبع سماوات وبلغت العُلى في درجات العلّيّين حتى ضرب الله تعالى بها الأمثال وهكذا ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ وهي النابتة في أحسن المنابت والناشئة في أحضان النبوة والخالصة من الشوائب والأرجاس، فاختيرت لتكون أسوة كفوءة حسنة للذين آمنوا، وهذان نموذجان من بيئتين مختلفتين ضرب الله تعالى بهما المثل للتأسّي والاقتداء.

وأمّا الصّدّيقة الطّاهرة الكاملة التي لا يقاس بها بعد أبيها وبعلها أحد من الخلق قطّ المحدّثة التي كان يأتيها جبرئيل فيحدثها ويسلّيها بل هو وجملة من خيرة الملائكة خدّام لبنيها يخدمون في دارها «**السلام عليك أيّتها المحدّثة العليمة**»(١) هذه الحوراء في

(١) زيارة السيدة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام: مفاتيح الجنان، مصباح المتهجد: ص٧١٢ .

حقيقتها ومنازلها العليّة، الإنسية في مقاماتها في قوس النزول من الدنيا الدنيّة فإن قلم التقدير جرى عليها منذ الأزل ليكون منبتها شجرة طوبى المتدلية بأغصانها في كل بيت من بيوت الجنة وفي كل غرفة من غرفاتها وفي كل حقل من حقولها، النابتة في الفردوس الأعلى، والناشئة في بستان النبوة الكاملة التامة التي لم تنتقل في أصلاب الرجال ولا أرحام النساء، بل أسرى بعبده وعرج به ليحمّله هذه الأمانة بعبق رحيق الولاية وعبير مسك النبوة وعُرْف عود الإمامة ليكون ذلك لها نزولاً وإنزالاً دفعيّاً، كما نزل الروح الأمين بالقرآن العظيم على قلبه ﷺ، كيف لا تكون هي الأعظم وقد أنزل الله كتابه الكريم بروحه الأمين «**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ**»[1]، وأنزل الصديقة الكبرى على قلبه الشريف مباشرة لا بالواسطة، وبينما نزل الروح الأمين بالقرآن الكريم إلى الدنيا وحياً على قلب الرسول الأكرم ﷺ، نرى أن الله تعالى صعد برسوله وعرج به إلى قاب قوسين أو أدنى

(١) سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤ .

ليريه من آياته الكبرى وأية آية أعظم وأكبر من الصديقة الكبرى فأنزل كتابه الكريم بواسطة جبرئيل وأنزل نور الصديقة الطاهرة بخاتم النبيين الصادق الأمين.

بل زاد على ذلك حتى جعلها قلبه وروحه ونفسه وأنزل كتابه الكريم على قلبه الذي هو الصديقة الطاهرة ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ**﴾[1] الذي هو الصديقة فاطمة ﴿**لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾[2]، فكانت ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾، ففاطمة الطاهرة ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن الكريم على قلب رسوله العظيم الذي هو أيضاً فاطمة الصديقة، فأنزل القرآن في وعاء فاطمة الزماني على وعاء فاطمة المكاني، من مقام الزمان المقدور على مكان القلب المصوَّر، وكل ذلك قد تمّ في وعاء التجرد التام فوق حدود الزمان والمكان وهنا يكمن السر العجيب المحيّر لجميع العقول.

---

(١) سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤ .

(٢) سورة الشعراء: ١٩٤ .

وكيف كان فإنه تعالى جعل الخلق في حيرة من أمرها حين فطمهم عن معرفتها: «**وإنّما سميت فاطمة لأن الخلق فُطموا عن معرفتها**»[1] وفي الوقت ذاته أكرم شيعتها بأن جعل حبّها في قلوب شيعتها وخصّهم بهذه المنقبة الجليلة حتى أنها: «**إنّما سميت فاطمة لأن الله فطم من أحبّها عن النار**»[2]، كما أنها «**تلتقط شيعتها يوم القيامة**» ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ من الشرك ملؤه حب الصديقة الطاهرة الفاطمة الزاهرة الباهرة، تلتقطهم «**كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء**»[3].

وكيف لا تتحير فيها العقول وجاء في زيارتها: «**يا ممتحنة امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك**»[4] يا للعجب ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**﴾[5] كيف امتحنها قبل أن يخلقها؟!! تعجب

(١) تفسيرات فرات الكوفي: ٥٨١، وعنه في البحار: ٦٥/٤٣ .

(٢) بحار الأنوار: ١٦/٤٣، وفي ١٥/٤٣ جاء: «لأنها فطمت هي وشيعتها من النار»، عن مناقب ابن شهر آشوب.

(٣) شرح الأخبار: ٦٣/٣، بحار الأنوار: ٥٢/٨ .

(٤) زيارة السيدة فاطمة عليها السلام: مفاتيح الجنان.

(٥) سورة الإنسان: ١ .

وألف تعجب وحيرة ما بعدها حيرة، حيرت العقول بأسرار ذاتها وعجائب أفعالها، لذلك كانت حجة على أعظم الحجج الإلهية وأسوة يقتدون بها، فالصّلاة والسّلام عليها قبل أن تخلق ويوم خلقت ويوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيّاً، بعث حياةٍ لا ممات.

وهي ليلة القدر، لأنها نور الأنوار، وسرّ الأسرار، وهي السرّ المكتوم إلى يوم القيامة، بل سرّ الأسرار، ومجمع الأسرار، وسرّ في سرّ في سرّ، وهي وعاء الأسرار كلها: «**سلْ صدرها خزينة الأسرارِ**»[1].

فهي سر في حقيقتها، وسرّ في كينونة ذاتها، وسرّ في نشأتها، وسرّ في مبدأها، وسرّ في معادها، وسرّ في وجودها، وسرّ في تقلباتها بين نشأتها النورية، ونشأتها الحورية، ونسأتها الإنسية، وسرّ في اشتقاق نورها من نور الحقيقة المحمدية العلوية، وسرّ في أسمائها، وسرّ في نزولها وصعودها بين العوالم العلوية والسفلية والوسطى، وسرّ في علّيّتها، وسرّ في

(١) ديوان المرحوم آية الله العظمى الشيخ محمد حسين الأصفهاني.

معلوليتها، وسرّ في سببيتها، وسرّ في أمومتها لأبيها، وسرّ في مولدها، وسرّ في نكاحها، وسرّ في وحدتها، وسرّ في كثرتها، وسرّ في أبيها، وفي بعلها وبنيها، وسرّ في محسنها، وسرّ في حسينها، وسرّ في مهديّها، وسرّ في صلاتها، وسرّ في صيامها، وسرّ في صدقتها، وسرّ في منطقها، وسرّ في خطبتها، وسرّ في كلامها، وسرّ في سكوتها، وسرّ في حركتها، وسرّ في سكونها، وسرّ في دعائها، وسرّ في قيامها، وسرّ في قعودها، وسرّ في سجودها، وسرّ في مناجاتها، وسرّ في فرحها، وسرّ في حزنها، وسرّ في رضاها، وسرّ في غضبها، وسرّ في صبرها، وسرّ في بكائها، وسرّ في ضحكها وابتسامتها، وسرّ في نجواها، وسرّ في شكواها، وسرّ في كوثريتها، وسرّ في كل آنٍ من آنات حياتها، وحقيقة من حقائق ذاتها وصفاتها، وسرّ في شهادتها، وسرّ في مظلوميتها، وسرّ في تجهيزها، وسرّ في تشييعها، وسرّ في مدفنها، وسرّ في قبرها، وسرّ في شفاعتها لشيعتها ومحبيها، وهي سرّ كلها، وصدرها مخزن الأسرار كلها، وصندوق الحقائق جلّها، فهي سر في سر في سر، فوق كل سر، لأنها ليلة القدر

بجميع أسرارها، فهي سر الله الأعظم المودّع لدى النبي الخاتم والمكنون لدى الأمير المعظم.

«يا فاطمة يا بنت محمد، يا قرة عين الرسول، يا سيدتنا ومولاتنا، إنّا توجّهنا، واستشفعنا، وتوسلنا بكِ إلى الله، وقدمناكِ بين يدي حاجاتنا، يا شفيعة عند الله إشفعي لنا عند الله».

«اللّهم إني أسألك بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها، والسرّ المستودع فيها أن تصلّي على محمد وآل محمد، وأن تفعل بي ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله».

«اللّهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين».

قم المقدّسة

محمد مهدي المؤمن

٣ جمادى الثانية ١٤٣٠ هـ ق.